لابتهاجك

لابتهاجك

John Piper

لابتهاجك

By John Piper

فهرس المحتويات

مقدمة ٧

لماذا كان لزاماً على المسيح أن يموت؟..... ١١

كيف يمكن لله أن يُحبني؟..... ١٥

ماذا لو لم أحب الله؟..... ١٩

كيف أستطيع أن أحب إلها

يسمح بهذا المقدار من الشر؟..... ٢٣

لماذا الله هو محور كل شيء؟..... ٢٩

ماذا يعني لي كل هذا؟..... ٣٣

ماذا يجب أن أفعل؟..... ٤١

مقدمة

منذ ألفي سنة مضت، كان المسيح وأصدقائه يتحاورون حول الإشاعات المتداولة بين الشعب، فسألهم المسيح: «مَنْ يقول الناس إنّي أنا، ابن الإنسان؟» أجابوه بتعداد الأجوبة المألوفة التي كانوا يسمعونها. ولكن المسيح غيّر المعادلة إذ حوّل الحديث من شيء إخباري إلى شيء شخصي حيث نظر إلى أعينهم وسألهم: «وأنتم من تقولون إني أنا؟»

من السهل الإجابة عن السؤال حول ماذا يقول الآخرون. ولكننا نصل إلى مرحلة يجب علينا نحن مجابهة سؤال المسيح: ماذا نقول عنه؟

والجواب الأكثر شيوعاً هو أن المسيح كان معلّم أخلاقي عظيم - بل بالحري معلم مثالي حكيم وعطوف. ولكن سي. إس. لويس الكاتب البريطاني صاحب كتاب (الأسد، الساحر، وخزانة الملابس) (The Lion, the Witch, and the Wardrobe) أكّد بأن هذا التصغير لا يعتد به:

«إنني أحاول هنا منع أي شخص عن قول الشيء السخيف حقاً والذي يتداوله معظم الناس حول المسيح ألا هو: «إنني مستعد أن أقبل المسيح كمعلم أخلاقي عظيم، ولكنني لا أقبل إدّعآته بأنه اللّه.» هذا هو القول الذي يجب ألا نتفوه به. والسبب أنه لو أن شخصاً عادياً تفوه بهذه الأشياء التي نطق بها يسوع لن يُعتبر معلماً اخلاقياً عظيماً. فهو إمّا مجنون تماماً كالإنسان الذي يقول بأنه بيضة مسلوقة - أو شيطان رجيم. عليك أن تختار. فإما هذا الإنسان كان، وما يزال ابن اللّه، أو أنه مجنون أو أسوأ. يمكنك إغفاله باعتباره أحمقاً، كما يمكنك أن تبصق عليه وتقتله على أنه الشيطان؛ أو يمكنك أن تركع تحت أقدامه وتدعوه رباً وإلهاً. ولكن دعنا ألا نأتي بأي أقاويل وسخافات حول كونه إنساناً معلماً عظيماً. فهو لم يفسح المجال لهذا ولم يقصد أن يفعل هذا.

والسؤال - «وأنتم من تقولون إني أنا؟» - هو من أهم الأسئلة التي يمكن أن تسألها وتجيب عليها. فجون بيبر (John Piper) في هذا الكتاب أجاب على أهم وأكثر الأسئلة شيوعاً حول المسيح: من هو؟ لماذا أتى؟ ماذا أنجز ولماذا علينا أن نهتم؟

إن كان بعض من هذه الأسئلة يدور في مخيلتك وتبحث عن بعض الأجوبة - الغير مبنيّة على أفكارنا ونظرياتنا بل إنما على كلمة اللّه - فنحن ندعوك بأن تنضم إلينا. ليكتمل إبتهاجك.

لماذا كان لزاماً على المسيح أن يموت؟

«الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ.»

(رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٣: ٢٥)

«فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا»

(رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤: ١٠)

«اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ.» **(رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطيّة ٣: ١٣)**

لو لم يكن اللّه عادل، لما طُلب من ابنه أن يتألم ويموت. ولو لم يكن اللّه محَباً، لما كان ابنه مستعدّاً ليتألم ويموت من أجلنا. ولكن اللّه عادل ومُحب، ولهذا، محبته دائمة الاستعداد لتلبية مطالب عدالته.

ناموسه يأمرك بأن «تُحبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ.» (**تثنية ٦: ٥**) ولكننا جميعنا أحببنا أشياء أُخرى أكثر. هذه هي الخطية – إهانة اللّه بتفضيلنا أشياء أخرى عليه، والعمل بهذه الفضليات. لذلك، فالكتاب المقدس يقول: «إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللّهِ.» (**رومية ٣: ٢٣**). إننا نُمجّد ما نستمتع به أكثر، وهو ليس اللّه.

وبناء على ذلك، فالخطية ليست بشيء صغير لأنها ليست ضد ملك صغير. فأهميّة المهانة تتفاقم بحسب جلالة وسمو الشخص المهان. فخالق الكون جدير بالاحترام والإعجاب والولاء المطلق. لذلك، فالإخفاق في محبته ليس بالشيء السخيف بل هو خيانة وتشويه لسمعة اللّه، والقضاء على سعادة الإنسان.

وبما أن اللّه عادل، فهو لا يتغافل عن هذه الجرائم ولا يبالي بها. بل يشعر بغضبٍ إلهيٍ مقدّس وعارمٍ تجاه هؤلاء الخطاة، فإنهم قد استحقوا العقاب. وقد أوضح ذلك في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٦: ٢٣ «لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، ...» و «... وَالنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ.» (**حزقيال ١٨: ٤**).

هناك لعنة مقدّسة معلّقة فوق كل خطية، ومن غير العدل عدم إنزال العقاب بالخاطيء. لأن هذا سيدعم التقليل من قدر اللّه، ويُحكّم الكذب في صميم الحقيقة. وبناء على ذلك يقول اللّه: «... لأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ عَلَى الْعَمَلِ بِكُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ الشَّرِيعَةِ.» (**غلاطيّة ٣: ١٠**) و«مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يُطِيعُ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا...» (**تثنية ٢٧: ٢٦**).

ولكن محبة اللّه لا يهدأ لها بال بوجود اللعنة المعلقة فوق كل الخليقة الخاطئة. ولأن اللّه لا يكتف بإظهار غضبه مهما كان مقدساً، فقد أرسل أبنه الوحيد ليستوعب هذا الغضب وليحمل اللعنة عوضاً عن كل من آمن ووثق به.

«اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا ...» (**غلاطيّة ٣: ١٣**).

هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة «كفّارة» التي ذُكرت في صفحة ١١. فهي تدل على إزالة غضب الله بإعطائنا بديلاً. هذا البديل قدّمه الله نفسه. إن ذلك البديل، يسوع المسيح، لم يلغِ هذا الغضب فحسب، بل استوعبه وحمله بنفسه عوضاً عنّا. إن غضب الله عادل وهذا الغضب قد انسكب على المسيح ولم يُلغى.

دعنا لا نستخف بالله أو نجعل من محبته شيء تافه وعابر. فمن المستحيل أن نقف برهبة وإجلال أمام محبة الله لنا إذا لم نأخذ بالحسبان جديّة خطيئتنا وعدالة غضبه منّا. ولكن عندما نستيقظ بنعمته وندرك عدم جدارتنا، نستطيع عندئذ أن ننظر إلى آلام وموت المسيح ونقول: «في هذَا هيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا.» (**١ يوحنا ٤: ١٠**)

كيف يمكن للّه أن يُحبني؟

«الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ.»
(**رسالةَ بولس الرسول إلى أهل أفسس ١: ٧**)

«لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (**إنجيل يوحنا ٣: ١٦**)

«فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارٍّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا.» (**رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٥: ٨-٧**)

ثمة أمران يظهران مقدار محبة الله لنا: الأول هو مدى التضحية التي بلغها ليخلصنا من عُقوبة خطايانا. والآخر هو مدى عدم إستحقاقنا عندما خلصنا.

يمكننا ان نستشف مقدار هذه التضحيّة من خلال قراءتنا لهذه الكلمات «بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيد» (**يوحنا ٣: ١٦**)، وأن نستخلصها من كلمةَ «مسيح». هذا الاسم يأتي من اللقب Christos في اللغة يونانيّة ، أي «الممسوح» أو «المسيَّا». وهي كلمة تدل على سمو عظيم. كان يُفترض أن يكون المسيَّا ملكاً لإسرائيل، حيث سيقهر الرومان ويجلب السلام والاطمئنان لإسرائيل. باختصار، الشخص الذي أرسله الله ليُخلّص الخطاة كان ابنه السماوي، ابنه الوحيد، وملك إسرائيل الممسوح – بل حقّاً ملك العالم. (**إشعياء ٩: ٧-٦**).

وأيضاً، عندما تزيد على هذا الاعتبار الموت الشنيع بالصلب الذي تحمله المسيح، يصبح واضحاً بأن التضحية التي قدّمها الأب والابن لم تكن فقط أعمق وأعظم من أن توصف، بل كانت أبديّة لا نهاية لها، خاصة عندما تأخذ

بعين الاعتبار المسافة الشاسعة إلي تفصل بين الله والإنسان. ولكن الله اختار أن يقوم بهذه التضحية ليُخلصنا.

ويزداد كثيراً مقدار حبه لنا عندما نتأمل عدم إستحقاقنا «... رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا.» (**رومية ٥: ٨-٧**). نحن استحقينا العَقاب الإلَهي، وليس التضحيّة الإلهيَّة.

سمعتهم يقولون بأن «الرب لم يمت لأجل الضفادع، بل استجابة لقيمتنا كبشر.» هذا القول يقلب مفهوم النعمة رأساً على عقب. نحن أسوأ حال من الضفادع. فهم لم يرتكبوا خطية ولم يثوروا ويعاملوا الله باحتقار، ولم يعتبروا وجوده غير أساسي في حياتهم. لم يكن لزاماً على الله أن يموت من أجل الضفادع، فهم لم يكونوا أشرارا، بل نحن الأشرار ودَيْنُنا عظيم لا يمكن تسديده إلا بفدية إلهيّة.

هناك تفسير واحد يبرر تضحية الله لأجلنا. نحن لم نكن السبب، بل «... غِنَى نِعْمَتِهِ.» (**أفسس ١: ٧**). إنها بدون أي مقابَل،

أُعطيت لنا ليس لأننا وُجدنا جديرين بها، بل إنها فيض إستحقاقه اللانهائيّ. في الواقع هذه هي المحبة الإلهيّة: هي رغبة اللّه أن يأسرنا بثمن باهظ نحن الخطاة الغير مستحقين كي يمنحنا السعادة اللامتناهية الأبديّة، أي جماله المطلق.

ماذا لو لم أحب اللّه؟

«الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللّهِ.»

(إنجيل يوحنا ٣: ٣٦)

«فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.»

(إنجيل متى ٢٥: ٤٦)

«الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ.»

(رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي ١: ٩)

نحن لا نطلب الموت عندما نكون في أسعد أوقات حياتنا. فأُمنية الموت هذه تظهر فقط عندما تبدوا عذاباتنا وكأنها لا تُحتمل. ما نريده حقاً في تلك الأوقات ليس هو الموت بل الراحة. نتمنى لو أن الأوقات السعيدة تعود، ويزول الألم للأبد. ونتمنى لو أن أحبائنا يعودون من القبر. إننا نريد الحياة والسعادة.

يا للسخرية إذا نظرنا إلى الموت بصورة خياليَّة وكذروة للحياة التي عشناها بعمقها. الموت هو عدو يفصلنا عن كل الملذات الجميلة في هذا العالم. ندعو الموت بأسماء عذبة فقط كأفضل الشرّين. ولكنه الجلاد الذي يسدد الضربة القاضية لعذاباتنا، هو نهاية الأمل وليس لإشباع الشوق الذي في داخلنا، إذ أن قلب الإنسان دائم التّوق إلى العيش والسعادة.

هكذا صنعنا الله، «... وَأَيْضًا جَعَلَ الأَبَدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمْ...» (**الجامعة ٣: ١١**). نحن خُلقنا عَلَى صُورَةِ الله، والله يُحب الحياة وهو حيّ للأبد. نحن خُلقنا لنعيش للأبد، وهذا سيحدث. عكس الحياة الأبديّة هو ليس الإبادة بل الجحيم. فقد تكلّم يسوع عن ذلك أكثر من

أي شخص آخر، وأوضح بأن رفضنا للحياة الأبديّة التي يُقدّمها لنا سيؤدي ليس للفناء بل إلى التعاسة تحت غضب الله: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ.» (**يوحنا ٣: ٣٦**).

غضبه دائم للأبد. قال المسيح، «فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (**متى ٢٥: ٤٦**). فهذا العذاب الأبدي هو حقيقة حتميّة لا يمكن التغاضي عنها، وهي تُظهر الشر العظيم لمعاملتنا لله بعدم الاكتراث أو بازدراء. لهذا يحذّر المسيح، «وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ.» (**مرقس ٩: ٤٨-٤٧**).

فالحياة الأبديّة إذاً هي ليست امتداداً لهذه الحياة الممزوجة بالألم والسعادة. وبما أن الجحيم هو أسوأ نهاية أو نتيجة لهذه الحياة. فالحياة الأبديّة هي الأفضل. هي السعادة الأسمى، الدائمة النمو. هناك، تُرفع كل الخطايا وكل التعاسة وكل ما هو شرير ومؤذي في هذه

الخليقة الساقطة ينتهي، هناك كل ما هو جيّد – كل شيء يجلب السعادة الحقيقية الدائمة – سيبقى ويُنقّى ويُقوّى.

سنتغير لدرجة أننا سنستطيع بلوغ أقصى أبعاد السعادة التي لم نتخيل أنه باستطاعتنا بلوغها في هذه الحياة. «بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ.» (**١ كورنثوس ٢: ٩**). إنّها الحقيقة المجسّدة في كل لحظة من الحياة، الآن وإلى الأبد: الأفضل سيكون من نصيب هؤلاء الذين يثقون بالمسيح. سنعاين مجد الله المانح الاكتفاء الكلّي. «وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ.» (**يوحنا ١٧: ٣**). لهذا السبب تألم ومات المسيح. فكيف يمكننا أن لا نقبله ككنز لنا لكي نحيا؟

كيف أستطيع أن أُحب إلهاً يسمح بهذا المقدار من الشر؟

«أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا...»

(سفر تكوين ٥٠: ٢٠)

«لأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتَهُ، هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ، لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ.»

(أعمال الرسل ٤: ٢٨-٢٧)

«السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا...» **(سفر التثنية ٢٩: ٢٩)**

أعمق شيء يمكن أن نقوله عن الألم والشر هو أن الله، بواسطة يسوع المسيح، تدخل وحوّل هذا الشر إلى خير. مصدر الشر مُغطّى بغطاء من السرّية. «الإرادة ألحرّة» ما هي إلا اسماً أُعطي لهذا السر، ولكنها لا تفسّر لماذا اختار هذا المخلوق الكامل ارتكاب الخطية. وهناك اسماً آخر يُطلق على هذا السر ألا وهو «سيادة الله». مع أن هذا اللقب حقيقة مُثبتة بالكتاب المقدس، فلا يزال هناك العديد من التساؤلات التي لا إجابة لها. فالكتاب المقدس لا يغوص بنا إلى تلك الأبعاد التي نتمناها، بل يقول: «السَّرَائِرُ للرَّبِّ إِلهِنَا...» (**تثنية ٢٩: ٢٩**).

إن صَميمَ الكِتَاب المقدس والمسيحيّة ليس تفسيراً لمصدر الشر بل إظهاراً لكيفيّة دخول الله إلى هذا الشر وقلبه رأساً على عقب – إلى سعادة وبر أبديين. هناك مؤشرات في جميع الأسفار المقدسة تدل على أن هذه هي الطريقة التي سيسلكها المسيَّا. هناك يوسف، ابن يعقوب، الذي بيع للعبوديَّة في مصر. ظهر وكأنه قد هُجر لمدة ١٧ سنة. لكن الله كان وراء كل شيء، فقد جعل منه حاكماً لمصر،

الذي بدوره استطاع عندما كان الجوع عظيماً على كل الأرض أن يُخلّص هؤلاء نفسهم الذين باعوه. كلمة واحدة تختصر هذه القصة، كلمة قالها يوسف لإخوته: «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا...» (**تكوين ٥٠: ٢٠**). هذه القصة هيَ بمثابة دلالة مُسبقة (ظل) ليسوع المسيح الذي تمّ التخلي عنه لكي يقوم بخلاصنا.

أو تأمل سلالة المسيح. في القدم كان الله الملك الوحيد على إسرائيل، ولكنَ الشعب ثار وطالب بملك إنسان: «... لاَ بَلْ يَكُونُ عَلَيْنَا مَلِكٌ» (**١ صموئيل ٨: ١٩**). لاحقاً اعترفوا: «... لأَنَّنَا قَدْ أَضَفْنَا إِلَى جَمِيعِ خَطَايَانَا شَرًّا بِطَلَبِنَا لأَنْفُسِنَا مَلِكًا» (**١ صموئيل ١٢: ١٩**). ولكن الله كان وَراء كَل شيء. من سلالة هؤلاء الملوك أتى المسيح إلى العالم. ومن سلالة الخُطاة المنغمسين بالخطية أتى المخلص البار ليُخلّص العالم.

ولكن الشيء المذهل هو أن الشر والألم كانا الطريق الذي عيَّنه المسيح ليسير فيه كي ينتصر عليهما. كل عمل خائن ووحشي ضد المسيح هو خطية وشر. ولكن الله عيَّن كل هذا.

يقول الكتاب المقدس: «أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ...» (**أعمال الرسل ٢: ٢٣**). ضَرَبَ السوطَ على ظهره، وإكليل الشوك على رأسه، والبصقة على خده، والصفع على وجهه، والمسامير في يديه، وضربة الحربة في جنبه، وسخرية الحكام وخيانة صاحبه وهجرة التلاميذ له - كلها كانت نتيجة الخطية، وقد تمت كما رسمها وعيَّنها الله لكي يقضي على الخطية «لأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتَهُ، هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ، لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ.» (**أعمال الرسل ٤: ٢٨-٢٧**).

لا يوجد خطية أعظم من أن تكره وتقتل ابن الله. ولا ألم أعظم ولا حتى براءة أعظم من ألم وبراءة المسيح. ومع ذلك كان الله في كل شيء. «أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ...» (**إشعياء ٥٣: ١٠**) المقصد من وراء هذا الألم والشر، كان القضاء عليهما. «وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا.» (**إشعياء ٥٣: ٥**). ألم

قصد الله بآلام المسيح هذه أن يظهر للعالم أنه لا توجد خطية ولا شر أعظم من قدرة الله، وأنه في المسيح يسوع قادر على منحنا الفرح والبر الأبديين؟ فالألم الّذي نحن كنا سببه أصبح أملنا في الخلاص. «فَقَالَ يَسُوعُ: يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ.» (**لوقا ٢٣: ٣٤**).

لماذا الله هو محور كل شيء؟

«فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، اَلْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ...»

(رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ١٨)

«وَلكن الآنَ في الْمَسيح يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعيدينَ، صرْتُمْ قَرِيبينَ بدَمِ الْمَسيحِ.»

(رسالةَ بولس الرسولَ إلى أهل أفسس ٢: ١٣)

«فَآتِي إِلَى مَذْبَحِ اللهِ، إِلَى اللهِ بَهْجَةَ فَرَحِي...»

(مزمور ٤٣: ٤)

بعد كل ما حدث وقيل، اللّه هو البشارة. البشارة تعني «الخبر السعَيد». المسيحيّة هي ليست أولاً نظريات لاهوتيّة، بل أخبار. هي كسجناء حرب يسمعون، عبر مذياع مُخبىء بأنه قد تمّ إنزال الحلفاء وإن تحريرهم قد أصبح وشيكاً، بينما الحراس يتساءلون عن سبب تهليل هؤلاء السجناء.

ولكن ما هو الهدف الأسمى من هذه البشارة؟ إنّه اللّه نفسه. كل كلمات الإنجيل تقود إليه وإلاّ لما أُعتبر بشارة. «فالخلاص» مثلاً لا يُعتبر بشارة إذا كان ليُخلصنا من الجحيم فقط ولا يقودنا إلى اللّه. «الغفران» ليس ببشارة إذا كان يُريحنا من الذنب فقط ولا يُمهد الطريق إلى اللّه. «التبرير» لا يكون بشارة إذا جعلنا فقط مقبولين شرعياً من اللّه، ولم يمنحنا الشركة مع اللّه. «الفداء» ليس ببشارة إذا كان ليحررنا فقط من قيود العبوديّة ولم يقربنا من اللّه. «التبنِّي» هو أيضاً ليس ببشارة إذا كان يضعنا فقط ضمن عائلة اللّه الأب وليس بأحضانه.

هذا شيء أساسي. فالعديد من الناس يقبلون البشارة ظاهرياً بدون أن يقبلوا اللّه

نفسه. كما أنه لا يوجد دليل قاطع بأننا اكتسبنا قلباً جديداً فقط لأننا لا نريد أن ينتهي بنا المطاف إلى جهنم. هذه رغبة طبيعيّة، ولا نحتاج لقلبٍ جديد لكي نصبو إلى الارتياح السيكولوجي الناتج عن الغفران، ولا لرفع غضب اللّه أو لنرث ملكوت اللّه. فبإمكاننا أن نفهم كل هذه الأشياء من دون أن نتغير روحيّاً. فأنت لست بحاجة أن تولد من جديد لكي تطلب هذه الأشياء إذ أن الشياطين هي بدورها تطلبها.

طلب هذه الأشياء ليس بالشيء الخاطئ، ولكن الدليل على أننا قد تغيّرنا يظهر عندما نطلب هذه الأشياء لأنها تقودنا إلى الاستمتاع باللّه. هذا هو السبب الرئيسي الذي دفع المسيح للموت من أجلنا. «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللّهِ...» (١ **بطرس** ٣: ١٨).

لماذا يُعتبر هذا جوهر الأخبار السارة؟ لأننا خُلقنا لنختبر المحبة الشاملة والأبديّة عند رؤيتنا واستمتاعنا بمجد اللّه. فنحن نهين اللّه ونُعتبر وثنيين إذا كانت سعادتنا القصوى مبنيّة على شيء أقل أهميّة من جوهر هذه البشارة.

فهو خلقنا لكي يظهر مجده عندما نُسر بهذا المجد. فإنجيل المسيح هو الأخبار السارة والتي على حساب حياة ابنه عمل الله كل شيء ضروري لكي يأسرنا بما يجعلنا سعداء على الدوام وإلى الأبد، أي مبتهجين بالله نفسه.

قبل مجيء المسيح بكثير، أظهر الله نفسه كمصدر للسعادة الدائمة المكتفية. «تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ.» (**مزمور ١٦: ١١**) ومن ثمّ أرسل المسيح ليتألم لكي «يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ...» هذا يعني بأنه أرسل المسيح ليمنحنا أعمق وأطول فرح يمكن أن يحصل عليه أي إنسان. إصغ إذاً لهذه الدعوة: حد عن «التمتع الوقتي بالخطية» (**عبرانين ١١: ٢٥**) وتعال وتمتع «بالنِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ.» تعال إلى المسيح.

ماذا يعني لي كل هذا؟

«كَتَبْتُ هذَا إِلَيْكُمْ، أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلِكَيْ تُؤْمِنُوا بِاسْمِ ابْنِ اللهِ.»

(رسالة يوحنا الرسول الأولى ٥: ١٣)

«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.»

(إنجيل يوحنا ٥: ٢٤)

«تُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ.»

(أعمال الرسل ٣: ١٩)

«وَاحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللهِ، مُنْتَظِرِينَ رَحْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ.»

(رسالة يهوذا ١: ٢١)

خلقنا الله لمجده

«...ايت ببَنِيَّ مِنْ بَعِيد، وَبِبَنَاتِي مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ. لاَبِكُلِّ مَنْ دُعِيَ بِاسْمِي وَلِمَجْدِي خَلَقْتُهُ وَجَبَلْتُهُ وَصَنَعْتُهُ.» (**إشعياء ٤٣: ٧-٦**)

صنعنا الله لنمجد عظمته - كما يُعظّم المنظار (التلسكوب) النجوم. خلقنا لكي نُظهر للملأ صلاحه وحقّه وجماله وحكمته وعدله. إن أعظم إظهار لمجد الله يكمن في إبتهاجنا العميق بما هو عليه. هذا يعني أن الله يحصل على التمجيد والتعظيم ونحصل نحن على الفرح العظيم. فقد خلقنا الله لكي يتم مجده فينا عندما نجد ملىء اكتفائنا فيه.

على كل إنسان أن يعيش لمجد الله

«فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا، فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ.»
١ كورنثوس ١٠: ٣١

فمن الواضح أن الله قد خلقنا لمجده ولذلك وُجب علينا أن نحيا لنمجده. فواجبنا هذا ناتج عن تصميمه. فبالتالي واجبنا الأول هو إظهار قيمة وقدر الله باكتفائنا فيه. هذا هو جوهر محبتنا لله (**متى ٢٢: ٣٧**) وثقتنا به (**١ يوحنا ٥: ٤-٣**)، وحمدنا له (**مزمور ١٠٠: ٤-٢**). كل هذا يدفعنا لطاعة حقيقية تظهر خاصة في محبتنا للآخرين. (**كولوسي ١: ٥-٤**).

كلنا أخفقنا في تمجيدنا لله كما يجب

«إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ.»
(**رومية ٣: ٢٣**)

ما المقصود بـ«أعوزنا مجد الله»؟ هذا يعني أنه لا يوجد أحد فينا قد وثق في الله وجعله كنزه كما وجب عليه. لم نجد إكتفائنا

في عظمته، ولم نسلك في طرقه بل سعينا وراء أشياء أخرى لتمنحنا الاكتفاء، أشياء اعتبرناها قيّمة أكثر من الله وهذا بدوره أدَّى بنا إلى عبادة ما دون الله. (**رومية ١: ٢٣-٢١**) منذ دُخُول الخطية إلى العالم، ونحن نُقاوم بشدة الاكتفاء بالله واعتباره كنزنا الدائم (**أفسس ٢: ٣**). وهذا إهانة مروعة لعظمة ومجد الله. (**إرميا ٢: ١٣-١٢**).

كُلنا مستحقين دينونة الله العادلة

«لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ ...»
(**رومية ٦: ٢٣**)

كلنا استخفينا بمجد الله. كيف؟ بتفضيلنا أشياء أخرى عليه، وبجحودنا وعدم ثقتنا وعدم طاعتنا. إذاً، فالله عادل بنفينا وإقصائنا عن التمتع بمجده للأبد. «الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ.» (**٢ تسالونيكي ١: ٩**).

جاءت كلمة «جحيم» في العهد الجديد اثنا عشر مرة - احد عشر منها نطق بها يسوع. والجحيم حقيقة وليس أسطورة خياليّة أبتدعها المبشرون الغاضبون المكتئبون. أنه تحذير مُهيب من ابن الله الذي مات ليُخلّص الخُطاة من لعنة الخطية. وعندما نتغاضى عن هذا التحذير نعرّض أنفُسنا لمخاطر كبيرة.

لو توقف الكتاب المقدس هنا في تحليله لحالة الإنسان، لآل بنا المطاف إلى مستقبل مشؤوم. ولكن الكتاب المقدس لم يتوقف عند هذا الحد.

أرسل الله ابنه الوحيد يسوع المسيح ليمنحنا الحياة والفرح الأبديين

«... أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ ...»
(**١ تيموثاوس ١: ١٥**)

الأخبار السارة هي أن المسيح مات من أجل خطاة مثلنا، وقام بالجسد من الأموات ليثبت قوة الخلاص الملازمة لموته وليفتح أبواب الحياة والفرح الأبديين. (**١ كورنثوس ١٥: ٢٠**) هذا يعني أن الله يستطيع أن يبرر الخطاة المذنبين ويظل هو نفسه باراً (**رومية ٣: ٢٦-٢٥**). «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيًى فِي الرُّوحِ» (**١ بطرس٣: ١٨**). بمجيئنا لله نجد الاكتفاء العميق الأبدي.

الإمتيازات التي اقتناها المسيح بموته هي ملك هؤلاء الذين يتوبون ويثقون به

«... آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ ...» (**أعمال الرسل ١٦: ٣١**)

«التوبة» تعني الابتعاد عن الخطية وكل وُعودها الكاذبة المخادعة. «الإيمان» يعني الاكتفاء

بكل ما وعدنا به الله في المسيح. يقول المسيح «... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا.» (**يوحنا ٦: ٣٥**). نحن لا نربح خلاصنا ولا نستحقه. (**رومية ٤: ٥-٤**)، بل بالنعمة من خلال الإيمان (**أفسس ٢: ٩-٨**). الخلاص هو عطيّة مجّانيَّة (**رومية ٣: ٢٤**) نحصل عليه إذا أدركنا قيمته ووضعناه فوق كل اعتبار (**متى ١٣: ٤٤**). لأنه عندما نفعل هذا، نتمم قصد الله الذي وضعه للخليقة: أن يتمجد فينا وأن نجد إكتفائنا فيه، للأبد.

ماذا يجب أن أفعل؟

«...رَكَضَ وَاحِدٌ وَجَثَا لَهُ وَسَأَلَهُ: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟»

(إنجيل مرقس ١٠: ١٧)

«... وَخَرَّ لبُولُسَ وَسِيلاَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمَا وَقَالَ: يَا سَيِّدَيَّ، مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لكَيْ أَخْلُصَ؟ فَقَالاَ: آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ ...»

(أعمال الرسل ١٦: ٣٠-٢٩)

- ابتعد عن وعود الخطية الكاذبة.

- اطلب من المسيح أن يُخلصك من كل ذنب وعقاب وعبوديّة. «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ.» (**رومية ١٠: ١٣**).

- ابدأ بوضع رجاءك بكل ما هو الله لك في المسيح.

- اكسر قوة وعود الخطية بإيمانك بالإكتفاء الأسمى لوعود الله.

- ابدأ بقراءة الكتاب المقدس لتجد وعود الله الثمينة والعظيمة والتي باستطاعتها بأن تحررك: (**٢ بطرس ١: ٤-٣**).

- ابحث عن كنيسة تؤمن وتتبع تعاليم الكتاب المقدس وابدأ بعبادة الله والنمو مع أناس أخرين يجعلون المسيح كنزهم العظيم فوق كل شيء (**فيلبي ٣: ٧**).

هل تعلم أن الله يوصيك أن تكون سعيداً؟

«اعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ.» (**مزمور ١٠٠: ٢**)

«وَتَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ.» (**مزمور ٣٧: ٤**)

أعظم خبر في العالم هو عدم وجود تضارب بين الحصول على أعظم سعادة ممكنة وقداسة الله الكاملة. إذ أن اكتفائنا بكل ما هو الله لنا في المسيح، يمجّده كأعظم كنز ويمنحنا المزيد من الابتهاج - الفرح الأبدي الذي لا نهاية له - أعظم من أي فرح آخر في العالم.

«تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ.
فِي يَمِينِكَ نَعَمٌ إِلَى الأَبَدِ»
(مَزمورَ ١٦: ١١)